ذِكر اسكندر ذي القرنين[1]

كان فيلفوس[2] أبو الإسكندر اليونانيّ من أهل بلدة يقال لها مقدونية، كان ملكاً عليها وعلى بلاد أخرى، فصالح دارا على خراج يحمله إليه في كلّ سنة. فلمّا هلك فيلفوس مَلَك بعده ابنُه الإسكندر، واستولى على بلاد الروم أجمع، فقوي على دارا، فلم يحمل إليه من الخراج شيئاً، وكان الخراج الذي يحمله بيضاً من ذهب، فسخط عليه دارا، وكتب إليه يؤنّبه بسوء صنيعه في تَرْك حمل الخراج، وبعث إليه بصَوْلجان وكُرة وقفيز من سمسم، وكتب إليه: إنّه صبيّ، وإنّه ينبغي له أن يلعب بالصَّوْلَجان والكرة، ويترك المُلْك، وإن لم يفعل ذلك، واستعصى عليه، بعث إليه مَنْ يأتيه به في وثاق، وإنّ عدّة جنوده كعدّة حبّ السمسم الذي بعث به إليه.

فكتب إليه الإسكندر: إنّه قد فهم ما كتب به، وقد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه، من إرساله الصَّوْلَجان والكُرَّة، وتيمّن[3] به لإلقاء الملقي الكرة إلى الصَّوْلَجان، واحترازه إيّاها؛ وشبّه[4] الأرض بالكرة، وأنّه يجرّ مُلْك دارا إلى مُلْكه. وتيمّنه[5] بالسمسم الذي بعث، كتيمّنه[6] بالصَّوْلَجان والكُرة لدَسَمه وبُعْده من المرارة والحَرَافة، وبعث إليه بصُرّة فيها خردل، وأعلمه في ذلك أنّ ما بعث به إليه قليل، ولكنّه مرّ حرّيف، وأنّ جنوده مثله. فلمّا وصل كتابه إلى دارا تأهّب لمحاربته[7].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٧٢، تاريخ اليعقوبي ١/١٤٣، تاريخ المنبجي ١/٤١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٩، البدء والتاريخ ٣/١٥٢، تاريخ مختصر الدول ٥٧، نهاية الأرب ١٥/٢٣٥، مروج الذهب ١/٢٨٨، تاريخ ابن خلدون ٢/١٨٧، المعارف ٦٥٣، تاريخ الخميس ١/١١٣، الفرج بعد الشدّة ٢/٣١٥ و ٣٤٠ - ٣٤٢، والمستجاد من فعلات الأجواد ٤٦ - ٤٩.

(٢) في النسخة (ت): «فيلقوس».

(٣) في الطبعة الأوربية «ويتمنّ».

(٤) في الطبعة الأوربية «ويشبّه».

(٥) في الطبعة الأوربية «ويتمنّه».

(٦) في الطبعة الأوربية «كيتمنّه».

(٧) الطبري ١/٥٧٣، ٥٧٤، البدء والتاريخ ٣/١٥٢، ١٥٣، نهاية الأرب ١٥/٢٣٥، ٢٣٦، عرائس المجالس ٢٨٤.

وقد زعم بعض العلماء بأخبار الأوّلين، أنّ الإسكندر الذي حارب دارا بن دارا، هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه، وأنّ أباه دارا الأكبر كان تزوّج أمّ الإسكندر، وهي ابنة ملك الروم، فلمّا حُملت إليه، وجد نَتَنَ رِيحها وسَهَكها[1]، فأمر أن يُحتال لذلك منها؛ فاجتمع رأيُ أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسيّة «سندر»، فغُسلت بمائها، فأذهب ذلك كثيراً من نَتَنها، ولم يذهب كلّه، وانتهت نفسُه عنها، فردّها إلى أهلها، وقد علقت منه، فولدت في أهلها غلاماً، فسمّته باسم الشجرة التي غُسلت بمائها، مضافاً إلى اسمها[2].

وقد هلك أبوها، وَمَلَك الإسكندر بعده، فمنع الخراج الذي كان يؤدّيه جدّه إلى دارا، فأرسل يطلبه، وكان بيضاً من ذهب، فأجابه: إنّي قد ذبحتُ الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض، وأكلتُ لحمها، فإنْ أحببتَ وادعناك، وإن أحببتَ ناجزناك.

ثمّ خاف الإسكندر من الحرب، فطلب الصُلح، فاستشار دارا أصحابه، فأشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه، فعند ذلك ناجزه دارا القتال، فكتب الإسكندر إلى حاجِبَيْ دارا، وحكّمهما على الفتْك بدارا، فاحتكما شيئاً، ولم يشترطا أنفسهما. فلمّا التقيا للحرب، طعن دارا حاجباه في الوقعة، وكانت الحرب بينهما سنة، فانهزم أصحاب دارا، ولَحِقَه الإسكندر وهو بآخر رمق[3].

وقيل: بل فتك به رجلان من حَرَسه من أهل همذان، حبّاً للراحة من ظلمه، وكان فتْكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه، ولم يكن ذلك بأمر الإسكندر.

وكان قد أمر الإسكندر منادياً ينادي عند هزيمة عسكر دارا، أن يؤسرا دارا ولا يقْتل، فأُخبر بقتله، فنزل إليه ومسح التراب عن وجهه، وجعل رأسه في حِجْره وقال له: إنّما قتلك أصحابك، وإنّني لم أُهِمَّ بقتلك قطّ، ولقد كنتُ أرغبُ بك يا شريف الأشراف، ويا ملك الملوك، وحُرّ الأحرار، عن هذا المصرع، فأوصِ بما أحببتَ. فأوصاه دارا أن يتزوّج ابنته «روشنك»، ويرعى حقّها، ويعظّم قدرها، ويستبقي أحرار فارس، ويأخذ له بثأره ممّن قتله. ففعل الإسكندر ذلك أجمع، وقتل حاجِبَيْ دارا، وقال لهما: إنّكما لم تشترطا نفوسكما، فقتلهما بعد أن وفَى لهما بما ضمن لهما، وقال: ليس ينبغي أن يُستبقى قاتل الملوك، إلاّ بذمّة لا تُخفر[4].

---

(١) السَّهَك: ريح كريهة تجدها ممن عرق.

(٢) وهو «هلاي سندروس» كما في تاريخ الطبري ١/٥٧٥.

(٣) الطبري ١/٥٧٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٨، نهاية الأرب ١٥/٢٣٧.

(٤) الطبري ١/٥٧٥، لطف التدبير للإسكافي ١٨٧، ١٨٨، غرر السير ٤١٧.

وكان التقاؤهما بناحية خُراسان ممّا يلي الخَزَر.

وقيل: ببلاد الجزيرة عند دارا.

وكان مُلك الرّوم قبل الإسكندر متفرّقاً فاجتمع، ومُلك فارس مجتمعاً فتفرّق.

وحمل الإسكندر كتباً وعلوماً لأهل فارس، من علوم ونجوم وحكمة[١]، ونقله إلى الرومية.

وقد ذكرنا قول من قال: إنّ الإسكندر أخو دارا لأبيه، وأمّا الروم وكثير من أهل الأنساب فيزعمون أنه الإسكندر بن فيلفوس.

وقيل فيلبوس بن مطريوس[٢].

وقيل: ابن مصريم بن هرمس بن هردس[٣] بن ميطون[٤] بن رومي بن ليطى بن يوناق[٥] بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل[٦] بن رومي بن الأصفر بن اليفز[٧] بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

فجمع بعد هَلْك دارا مُلك دارا، فملك العراق، والشام، والروم، ومصر، والجزيرة، وعرض جُنده، فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل[٨]، منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل، ومن جُند دارا ستّمائة ألف رجل، وتقدّم بهدم حصون فارس، وبيوت النيران، وقَتل الهرابذة، وأحرق كتبهم، واستعمل على مملكة فارس رجالاً، وسار قُدُماً إلى أرض الهند، فقتل ملكها، وفتح مدنَها، وخرّب بيوت الأصنام، وأحرق كُتُب علومهم[٩].

ثمّ سار منها إلى الصين، فلمّا وصل إليها أتاه حاجبه في اللّيل وقال: هذا رسول ملك الصين، فأحضره فسلّم، وطلب الخلوة، ففتّشوه فلم يروا معه شيئاً، فخرج من كان

---

(١) في الطبعة الأوربية «حكم»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٧٧.

(٢) في الأصل «مطربوس» بالباء الموحدة، والمثبت عن الطبري.

(٣) في النسخة (ب) «هورس».

(٤) في طبعة صادر ١/٢٨٤ «منطون»، والمثبت عن النسخة (ر)، والطبري.

(٥) في النسخة (ب) «ثوباق»، والنسخة (ر) «يونان» كما في الطبري.

(٦) في النسخة (ر) «توفيل».

(٧) في الأصل «ايلفر»، والمثبت عن الطبري.

(٨) في تاريخ الطبري ١/٥٧٧ «ألف ألف وأربعمائة رجل» وما في الكامل هو الأصحّ، حيث يوثّقه ما بعده، وما في عرائس المجالس ٢٨٦.

(٩) إلى هنا ينتهي الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٧٧.

عند الإسكندر، فقال: أنا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريده، فإن كان ممّا يمكن عمله[1] عملتُه، وتركتُ الحرب. فقال له الإسكندر: ما الذي آمنك منّي؟ قال: علمت أنّك عاقل حكيم، ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا ذَحْل[2]، وأنت تعلم أنك إنْ قتلتني، لم يكن قتلي سبباً لتسليم أهل الصين مُلكي إليك، ثمّ إنّك تُنسب إلى الغدر.

فعلم أنّه عاقل، فقال له: أريد منك ارتفاع مُلكك لثلاث سنين عاجلاً، ونصف الارتفاع[3] لكلّ سنة. قال: قد أجبتُك، ولكن اسألني[4] كيف حالي، قال: قلْ كيف حالك؟ قال: أكون أوّل قتيل لمحارب، وأوّل أكلةٍ لمفترس، قال: [فإن] قنعتُ منك بارتفاع سنتين؟ قال: يكون حالي أصلح قليلاً. قال: [فإن] قنعتُ منك بارتفاع سنة؟ قال: يبقى مُلكي، وتذهب لذّاتي. قال: وأنا أترك لك ما مضى، وآخذ الثُلُث لكلّ سنة، فكيف يكون حالك؟ قال: يكون السُدُس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد، والسُدُس لي، والثُلُث للعسكر، والثُلُث لك. قال: قد قنعتُ منك بذلك. فشكره وعاد، وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح.

فلمّا كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم، أحاط بعسكر الإسكندر، فركب الإسكندر والنّاس، فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج، فقال له الإسكندر: أَغَدَرْتَ؟ قال: لا، ولكنّي أردتُ أن تعلم أنّي لم أطعك من ضَعْف، ولكنّي لما رأيتُ العالم العُلويّ مقبلاً عليك، أردتُ طاعته بطاعتك، والقرب منه بالقرب منك. فقال له الإسكندر: لا يسام[5] مثلك[6] الجزية، فما رأيتُ بيني وبينك مَن يستحقّ الفضل والوصف بالعقل غيرك، وقد أعفيتُك من جميع ما أردتُه منك، وأنا منصرف عنك. فقال له ملك الصين: فلستَ تخسر، وبعث إليه بضعف ما كان قرّره معه، وسار الإسكندر عنه من يومه، ودانت له عامّة الأَرَضِين في الشرق والغرب، وملك التُّبَّت وغيرها[7].

(١) في الطبعة الأوربية «كان ما يمكنه عمله». والمثبت يتفق مع غرر أخبار ملوك الفرس للثعالبي ٤٣٧، ونهاية الأرب ١٥/٢٥٠.

(٢) الذَحْل: الثأر. وفي ثمرات الأوراق ١٧٣: «ولا مطالبة بدخْل»، وفي الفرج بعد الشدّة ٢/٣٤١، والمستجاد من فعلات الأجواد ٤٣ «ولا مطالة بذحل» الحاء المهملة.

(٣) الإرتفاع: هو ما يُرفع من خراج إلى بيت المال.

(٤) في الطبعة الأوربية «ولكنك سئلني».

(٥) في النسخة (ب): «نستأم»، والمثبت يتفق مع الغُرر للثعالبي ٤٣٩، ونهاية الأرب ١٥/٢٥٢.

(٦) في النسخة (ت) «منك».

(٧) إلى هنا ينتهي الخبر في نهاية الأرب ١٥/٢٥١، ٢٥٢ وهو في ثمرات الأوراق ١٧٣، ١٧٤.

وفي: غرر أخبار ملوك الفرس وسِيَرهم، إحصاء للهدايا التي بعثها ملك الصين إلى الإسكندر، وهي: «ألف حريرة، وألف فرند، وألف ديباجة، وألف من فضّة، ومن كل جلود السمّور والفنك والفاقم والسنجاب والخزّ ألف جلدة، وألف مثقال عنبراً، وألف نافجة مسكاً، وألف رطل عوداً، وألف طاس ذهباً وفضّة، ومائة سيف =

فلمّا فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما، قصد بلاد الشمال، وملك تلك البلاد، ودان له من بها من الأمم المختلفة، إلى أن اتّصل بديار يأجوج ومأجوج، وقد اختلفت الأقوال فيهم، والصحيح أنّهم نوع من التُرك، لهم شوكة، وفيهم شرّ، وهم كثيرون، وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض، ويخربون ما قدروا عليه من البلاد، ويُؤْذُون من يقرب منهم. فلمّا رأى أهلُ تلك البلاد الإسكندَر، شكوا إليه من شرّهم، كما أخبر الله عنهم في قوله: **﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتّى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**[1] **وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لاَ يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً؛ قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً على أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً؟ قَالَ مَا مَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾**[2] يقول: ما مكّنّي فيه ربّي خير من خرجكم، ولكن أعينوني بالقوّة.

والقوّة: الفَعَلَة والصُّنّاع والآلة التي يُبنى بها.

فقال: **﴿آتُوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾**[2]، أي قطع الحديد، فأتوه بها، فحفر الأساس حتى بلغ الماء، ثمّ جعل الحديد والحطب صفوفاً بعضها فوق بعض **﴿حَتّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾**[2]، وهما جبلان، أشعل النّار في الحطب فحمي الحديد، وأفرغ عليه القِطْرَ[3]، وهو النحاس المُذاب، فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد، فبقي كأنّه بُرْد محبَّر[4] من حُمرة النحاس وسواد الحديد، وجعل أعلاه شُرَفاً من الحديد، فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج إلى البلاد المجاورة لهم. قال الله تعالى: **﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾**[5].

فلمّا[6] فرغ من أمر السدّ، دخل الظلمات ممّا يلي القطب الشماليّ، والشمس

= هندية محلّاة بالذهب والجوهر، ومائة سرج، ومائة لجام صينية مذهّبة، ومائة درع سابغة. والتزم الضريبة كل سنة». (ص ٤٣٩).

(١) في النسخة (ر) زيادة بعد كلمة «السَّدَّين» هي: «وهما جبلان متقابلان لا يُرتقى فيهما، وليس لهما مخرج إلّا من الفرجة التي بينهما، فلما بلغ إلى تلك وقارب بين «السَّدَّين».

(٢) الكهف/٩٢ ـ ٩٦.

(٣) في الطبعة الأوربية «القسطر».

(٤) في النسخة (ب): «جمرمحمر».

(٥) الكهف/٩٧.

وانظر حول السدّ ما جاء في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ١٦٤ ـ ١٦٨، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٥٨ والخبر بطوله ليس في تاريخ الطبري؛ بل هو في عرائس المجالس ٢٨٨.

(٦) من هنا يعود الخبر إلى الطبري ١/٥٧٨ وهو في عرائس المجالس ٢٩١.

جنوبيّة، فلهذا كانت ظُلمة، وإلاّ فليس في الأرض موضع إلاّ تطلع الشمس عليه أبداً. فلمّا دخل الظُلُمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخُلد، فسار فيها ثمانية عشر يوماً، ثمّ خرج ولم يظفر بها، وكان الخضر على مقدّمته، فظفر بها، وسبح فيها، وشرب منها، والله أعلم.

ورجع إلى العراق فمات في طريقه بشَهْرَزُور[1] بعلّة الخوانيق، وكان عمره ستّاً وثلاثين سنة في قول، ودُفن في تابوت من ذهب مرصّع بالجوهر، وطُلي بالصبر لئلاّ يتغيّر، وحُمل إلى أمّه بالإسكندريّة[2].

وكان مُلْكه أربع عشرة سنة، وقُتل دارا في السنة الثالثة من ملكه.

وبنى اثنتي عشرة مدينة، منها: أصبهان، وهي التي يقال لها جَيّ، ومدينة هَرَاة، ومَرْو، وسمرْقَنْد، وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا، وبأرض اليونان مدينة، وبمصر الإسكندريّة.

فلمّا مات الإسكندر أطاف به مَنْ معه من الحكماء اليونانيّين والفُرس والهند وغيرهم، فكان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم، فوقفوا عليه، فقال كبيرهم: ليتكلّم كلّ واحد منكم بكلام يكون للخاصّة معزيّاً، وللعامّة واعظاً[3]، ووضع يده على التابوت وقال: أصبح آسر الأسراء أسيراً.

وقال آخر: هذا الملك كان يخبيء[4] الذهب فقد صار الذهب يخبؤه[5].

وقال آخر: ما أزهد النّاس في هذا الجسد، وما أرغبهم في التابوت.

وقال آخر: من أعجب العجب أنّ القويّ قد غُلب، والضعفاء لاهون مُغْتَرُّون.

وقال آخر: هذا الذي جعل أجله ضماناً[6] وجعل أمله عياناً، هلاّ باعدتَ من أجلك لتبلغ بعضَ أملك، بل هلاّ حقّقت[7] من أملك بالامتناع من فوت[8] أجلك.

---

(١) شَهْرَزُور: بالفتح ثم السكون، وراء مفتوحة، بعدها زاي، وواو ساكنة وراء، كورة واسعة في الجبال بيْن إربل وهمذان.. ومعنى شهر بالفارسية المدينة. (معجم البلدان ٣/٣٧٥).

(٢) عرائس المجالس ٢٩٢.

(٣) القول إلى هنا في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٤، وهو كله في مروج الذهب ١/٢٨٩.

(٤) في طبعة صادر ١/٢٨٨ «يخبأ».

(٥) في طبعة صادر «يخبأه»، والمثبت عن مروج الذهب ١/٢٨٩.

(٦) في طبعة صادر «ضماراً»، والتصحيح من مروج الذهب.

(٧) في النسخة (ر): «خففت»، والمثبت يتفق مع المسعودي ١/٢٩٠.

(٨) في النسخة (ر) «وقت»، وفي طبعة أوربا وصادر «وفور» وما أثبتناه عن المسعودي.

وقال آخر: أيّها الساعي المنتصب، جمعتَ ما خذلك عند الاحتياج إليه، فغـودِرَتْ عليك أوزارُه، وقارفت آثامه[1]، فجمعتَ لغيرك وإثمه عليك.

وقال آخر: قد كنتَ لنا واعظاً، فما وعـظتنا مـوعظة أبلغ من وفـاتك، فمن كـان له عقل[2] فليعقلْ، ومن كان معتبراً فليعتبر.

وقال آخر: رُبَّ هائب لك يخافك من ورائك، وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك.

وقـال آخر: رُبَّ حـريصٍ على سكوتـك، إذ لا تسكت، وهو اليـوم حـريص على كلامك إذ لا تتكلّم.

وقال آخر: كم أماتت هذه النفس لئلاّ تموت، وقد ماتت.

وقال آخر، وكان صاحب كُتُب الحكمة: قد كنتَ تأمرني أن لا أبعـد عنك، فـاليوم لا أقدر على الدّنو منك.

وقال آخر: هذا يوم عظيم، أقبل من شـرّه ما كـان مُدْبِـراً، وأدبر من خيـره ما كـان مقبلاً، فمن كان باكياً على مَنْ زال ملكه فليبكِ[3].

وقال آخر: يـا عظيم السلطان، اضمحـلّ سلطانك، كمـا اضمحلّ ظـلّ السحاب، وعفتْ آثار مملكتك، كما عفت آثار الذُباب.

وقال آخر: يا مَنْ ضاقت عليه الأرض طولاً وعـرضاً، ليت شِعْـري كيف حالـك بما احتوى عليك منها!.

وقال آخر: اعجبـوا ممّن كان هـذا سبيله، كيف شهر نفسـه بجمع الأمـوال الحطام البائد[4] والهشيم النافد[5].

وقال آخر: أيُّها الجمع الحافل، والملقى الفاضل، لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره، وتنقطع لذتّه، فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغيّ والفساد.

وقال آخر: [انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى، وظلّ الغمام كيف انجلى][6].

وقال آخر: يا من كان غضبُه[7] الموتَ هلاّ غضبتَ على الموت!.

(١) في مروج الذهب: «فارقتك أيامه».

(٢) في الطبعة الأوربية، وصادر ١/٢٨٨ «معقول»، وما أثبتناه عن المسعودي.

(٣) هذا القول في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٤ وفيه زيادة.

(٤) في النسخة (ر) «النابذ».

(٥) العبارة في مروج الذهب ١/٢٩٠ «كيف شرهت نفسه بجمع الحطام البائد والهشيم الهامد»، وهي أصحّ.

(٦) ما بين الحاصرتين من النسخة (ر)، ومن مروج الذهب ١/٢٩٠.

(٧) في الطبعة الأوربية «غصبه»، والتصويب من مروج الذهب.

وقال آخر: قد رأيتم هذا الملك الماضي، فليتّعظ به هذا الملك الباقي.

وقال آخر: إنّ الذي كانت الآذان تُنصت له قد سكت، فليتكلّم الآن كلّ ساكت.

وقال آخر: سيلحق بك مَنْ سرّه موتك، كما لحقتَ بمن سرّك موته.

وقال آخر: مالك [لا] تُقِلّ عضواً من أعضائك، وقد كنت تستقلّ بملك الأرض! بل ما لك لا ترغب عن ضِيق المكان الذي أنت فيه، وقد كنتَ ترغب عن رُحْب البلاد!.

وقال آخر[1]: إنّ دنيا يكون هذا في آخرها، فالزُّهد أولى أن يكون في أوّلها.

وقال صاحب مائدته: قد فُرِشَتْ النمارق، ونُضِدَتْ النضائد[2]، ولا أرى عميد القوم.

وقال صاحب بيت مَاله: قد كنتَ تأمرني بالادّخار، فإلى من أدفع ذخائرك[3]؟.

وقال آخر: هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طُويتَ منها في سبعة أشبار، ولو كنتَ بذلك مُوقناً، لم تحمل على نفسك في الطلب[4].

وقالت زوجته روشنك: ما كنتُ أحسب أنّ غالِب دارا يُغلب[5]، فإنّ الكلام الذي سمعتُ منكم فيه شماتة، فقد خلف الكأسَ الذي شرب به ليشربه الجماعة.

وقالت أمّه حين بلغها موته[6]: لئن فقدتُ من ابني أمرَه، لم يُفْقَد من قلبي ذكره.

فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحِكَم حسنة، فلهذا أثبتُّها.

ومن حِيَل الإسكندر في حروبه، أنّه لما حارب دارا، خرج إلى بين الصفّين، وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم إلينا، وما كتبنا إليكم من الأمان، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل، فإنّه يرى منّا الوفاء. فاتّهمت الفرسُ بعضها بعضاً واضطربوا.

ومن حِيَله، أنّه تلقّاه ملك الهند بالفِيَلَة، فنفرت خيلُ أصحابه عنها، فعاد عنه، وأمر باتخاذ فِيَلَة من نحاس[7]، وألبسها السلاح، وجعلها مع الخيل حتى أَلِفَتْها، ثمّ عاد إلى

(١) من نُسّاك الهند وحكمائها، كما في مروج الذهب ١/٢٩١.

(٢) في المروج بعدها «وهُيِّئت الموائد».

(٣) في مروج الذهب بعد هذا القول قول لخازن من خزائنه: هذه مفاتيح خزائنك، فمن يقبضها قبل أن أوخذ بما لم آخذ منها»؟.

(٤) أنظر أقوالاً أخرى في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٤، ١٤٥، والقول في مروج الذهب ١/٢٩١.

(٥) لطف التدبير، للإسكافي ١٨٨.

(٦) أنظر قولاً آخر لها في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٥، والقول في مروج الذهب ١/٢٩١.

(٧) في غرر أخبار ملوك الفرس ٤١٦ (طبعة باريس ١٩٠٠): «فتقدّم بصنعة تماثيل مجوّفة من النحاس والحديد=

الهند، فخرج إليهم ملك الهند، فأمر الإسكندر بتلك الفِيَلَة فمُلِئَت بطونها من النِفْط والكبريت، وجُرّتْ على العجل إلى وسط المعركة، ومعها جمعٌ من أصحابه، فلمّا نشبت الحربُ أمر بإشعال النّار في تلك الفِيَلة، فلمّا حميت انكشف أصحابه عنها، وغشِيَتْها فِيَلَةُ الهند، فضربتها بخراطيمها، فاحترقت وولّت هاربةً راجعةً على الهند، فانهزموا بين يديها[١].

ومن حِيَله، أنّه نزل على مدينة حصينة، وكان بها كثير من الأقوات، وبها عيون ماء، فعاد عنها، فأرسل إليها قوماً على هيئة التجّار، ومعهم أمتعة يبيعونها، وأمرهم بمُشْتَرَى الطعام والمُغَالاة في ثمنها، فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا، ففعلوا ذلك وهربوا إليه، فأنفذ السرايا إلى سواد تلك المدينة، وأمرهم بالغارة مرّة بعد أخرى، فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به، فسار الإسكندر إليهم، فلم يمتنعوا عليه[٢].

وكتب إلى أرسطاطاليس[٣] يذكر له، أنّ من خاصّة الروم جماعة لهم هِمَم بعيدة، ونفوس كبيرة وشجاعة، وأنّه يخافهم على نفسه، ويكره قتلهم بالظِّنّة. فكتب إليه أرسطاطاليس: فهمتُ كتابك، فإنّ ما ذكرتَ من بُعْد هِمَمهم، فإنّ الوفاء من بُعد الهمّة وكبر النفس، والغدر من دناءة النفس وخسّتها، وأمّا شجاعتهم ونقْص عقولهم، فمَنْ كانت هذه حاله فرفِّهْهُ في معيشته، واخصُصْه بحِسان النساء، فإنّ رفاهية العيش تُميت الشجاعة، وتحبّب السلامة، وإيّاك والقتل، فإنّه زَلّة لا تُستقال، وذنب لا يُغْفر، وعاقبْ بدون القتل تكنْ قادراً على العفو، فما أحسن العفو من القادر، وليحسن خُلُقُك، تُخلص لك النيّات بالمحبّة، ولا تؤثِر نفسَك على أصحابك، فليس مع الاستئثار محبّة، ولا مع المؤآساة بُغْضة[٤].

وكتب إلى أرسطاطاليس أيضاً لما ملك بلاد فارس، يذكر له أنّه رأى بإيران شهر[٥]، رجالاً ذوي رأي، وصرامة، وشجاعة، وجمال، وأنساب رفيعة، وأنّه إنّما ملكهم بالحظ

= تحكي صُوَر الرجال».

(١) أنظر تاريخ المنبجي ١/١١٢ و ١١٥، لطف التدبير ١٧ و٢١٢.

(٢) لطف التدبير ١٨.

(٣) أرسطاطاليس، أو «أرسطو»، الفيلسوف اليوناني الكبير، ولد عام ٣٨٤ ق. م. وتوفي عام ٣٢٢ ق. م. تَتَلمذ عليه الفيلسوف اليوناني أفلاطون في أثينا، كما تتلمذ عليه الإسكندر الأكبر، ثم انصرف إلى التعليم والتأليف في شتى فنون المعرفة وسمّى تلاميذه بالرواقيين أو المشّائين. (القاموس الإسلامي ١/٦٦).

(٤) الوزراء والكُتّاب ٩، لطف التدبير للإسكافي ٤، ٥، التذكرة الحمدونية ٢/٤٢٩ رقم ١١٢٥.

(٥) إيران شهر: هي بلادُ العراق وفارس والجبال وخراسان يجمعها كلها هذا الاسم.

والإنفاق، وأنّه لا يأمن، إنْ سافر عنهم فأفرغهم، وَثُوبهم، وأنّه لا يُكفى شرَّهم إلّا ببوارهم[1].

فكتب إليه: قد فهمتُ كتابك في رجال فارس، فأمّا قتْلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا يؤمَن عاقبته، ولو قتلتهم لأنبت أهلُ البلد أمثالهم، وصار جميع أهل البلد أعداءك بالطبع، وأعداء عقبك، لأنّك تكون قد وترتَهم في غير حرب، وأمّا إخراجك إيّاهم من عسكرك، فمخاطرة بنفسك وأصحابك، ولكنّي أشير عليك برأيٍ هو أبلغ من القتل، وهو أن تستدعي منهم أولادَ الملوك، ومَن يصلح للملك، فتقلّدهم البلدان، وتجعل كلّ واحد منهم ملكاً برأسه، فتتفرّق كلمتهم، ويقع بأسهم بينهم، ويجتمعون على الطاعة والمحبّة لك، ويرون أنفسهم صنيعتك[2]. ففعل الإسكندر ذلك، فهُم ملوك الطوائف.

وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب، ونحن نذكره إن شاء الله.

---

(1) أنظر هذه الأقوال في كتاب: غُرر أخبار ملوك الفرس وسِيَرهم، للثعالبي ٤١٦ ـ ٤١٨، ونهاية الأرب للنويري ١٥/٢٣٨ ـ ٢٤١، وانظر تاريخ سنيّ ملوك الأرض ـ ص ٣٩، ٤٠، وتاريخ المنبجي ١/١٢١، ولطف التدبير ١٦.

(2) أنظر رسالة أرسطاطاليس في: سرح العيون لابن زيدون ٦٧، ٦٨، والتذكرة الحمدونية ٢/٣٩٨ رقم ١٠٤٤.